وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـــامـــعـــة ديـــــالى
كـــلـيـة الـتـربـيـة للعلوم الإنسانية
قســـــم اللّغة العـــربـــيّة

رواية الشخصية دراسة في الرواية العراقيّة الحديثة من (٢٠٠٣ إلى ٢٠١٧م)

رسالة مقدمة

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ديالى

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

في اللغة العربيّة وآدابها

من الطالبة

زبيده جلال جاسم

بإشراف

أ.د. نوافل يونس الحمداني

١٤٤٠هـ ٢٠١٩م

الفصل الأَوّل
أنماط رواية الشخصية.

المبحث الأَوّل: رواية الشخصية الحالمة.

المبحث الثاني: أنماط أُخرى.

الفصل الأوّل
أنماط رواية الشخصية.

مدخل:

يتحدد النمط العام لرواية الشخصية عبر ملامح وإيديولوجيا الشخصية وديناميكيتها، التي يجتزئها كاتب رواية الشخصية من الواقع بإسناد أدوارٍ معينة تقوم بها الشخصيات، وهذه الشخصيات تتصل بالدلالة العامة التي تنطوي على صراع من نوع ما، وصولًا إلى موقف أو نهاية محددة حيث لا يمكن أَنْ يتم حدث إلَّا عن طريق شخصية تمثله ؛ لتكون ((قطبًا تلتف حوله وتتبلور مجموعة من القيم الدلالية؛ لتشكلها كبنية دلالية كبرى تعود بنا من جديد إلى ما تَمَّ تسنينه عن طريق فعل إنساني سابق))[١].

وهذه الأنماط التي تتماز بها رواية الشخصية نابعة من الشخصية ذاتها، التي تعود في أصلها إلى محور قيمي محدد؛ فهي إمَّا خيرة وإمَّا شريرة، وما ينخلع عليها من إضافات أو تكميلات؛ فيأتي ذلك عن طريق إرغامات مفهومية، أو إيديولوجيا، أو دلالية مسبقة، وما يصدر عن الشخصية هو الذي يكشف انتماءها ومستواها الاجتماعي والثقافي[٢].

وأنماط رواية الشخصية متعددة بتعدد مظاهر المجتمع، وبكُلّ الأحوال هي قادرة على تعرية أي نقص، وإظهار أي عيب يعيشه أفراد المجتمع؛ فينوط الدور إلى الشخصية لتمثيله؛ إذ إنَّها ترتكز على الإنسان وقضاياه؛ لذلك فإنَّ شخصياتها تكون مدار المعاني الإنسانية ومحور الأفكار العامة؛ فالأنماط تختلف وتتنوع بحسب الدور المناط إليها من تسليط الضوء على الصلات العديدة بين ملامح الشخصية الفردية في الرواية، وبين المسائل الموضوعية العامة، وقدرة كاتب رواية الشخصية على تنويع أنماط هذه الشخصيات، وجعلها تعيش أَشد قضايا العصر تجريدًا، وكأَنَّها قضاياها الفردية المصيرية.

---

(١) النص السردي، نحو سيميائيات للإيديولوجيا، سعيد بنكراد، دار الرباط، ط١، ١٩٩٦: ٩٤.

(٢) ينظر: سيميائيات إيديولوجيا، د. حبيبة الصافي، دار محاكاة للنشر والتوزيع، سوريا، ط١، ٢٠١١: ١٤٣.

المبحث الأوّل

رواية الشخصية الحالمة

تعدّ رواية الشخصية العراقيّة مستودعًا مفعمًا يتطلع الإنسان عن طريقه نحو التغيير على وفق الظروف المختلفة التي يعشيها؛ إذ تقدّم لنا مجتمعًا محاطًا بمختلف ألوان الأزمات؛ فتلوذ الشخصية بالحلم؛ لأنَّها تعدّه وسيلة للهرب من الواقع؛ فتوفر هذه الأحلام والتأملات الشاردة راحة الكينونة، وسعادة الشخصية؛ فيدخل الحالم وتأملاته الشاردة عالمًا خاصًا به يمارس فيه مشاريعه ومخططاته الخاصة، بعيدًا عن المجتمع(١)؛ فيوفر للشخصية الحالمة نوعًا من الثبات، والاطمئنان، والخلاص من الواقع وذلك من اساسيات رواية الشخصية.

ويُعَدُّ الحلم الإنساني ملمحاً بارزاً في حياة الإنسان، الذي يحاول تمثله في مختلف ميادين حياته، يسكنه هذا الحلم ويلازمه؛ إذ أنه عصا الإنسان السحرية، التي تسلطه عَمَّا يشاء وتمكنه مِمَّا يشاء(٢).

وقد غطى الحلم مساحة كبيرة من نفسية الحاكم السياسي، انتهاءً بالإنسان العادي البسيط، الذي لا يكاد يملك قوته إلَّا بشق الأنفس، وهكذا فإنَّ كُلّ فرد في عالم رواية الشخصية يرى في حلمه واقعه المنشود، الذي يسعى لتحقيقه، وإنْ فشل فإنَّهُ إمَّا أَنْ يبقى لديه الحلم دافعًا قويًا للأمل، وإمَّا أَنْ يجر خلفه أطراف الخيبة؛ لينكفئ على ذاته وينفصل عن الحياة.

ولا يقف الحلم الإنساني الذي تمثله الشخصية الروائية عند حدود الأمل، والبحث عن الحرية والثورة الصامتة، بل يتجاوز إلى ما يشبه البحث عن التحرر إزاء أناس

---

(١) ينظر: شاعرية أحلام اليقظة، علم شاعرية أحلام اليقظة، غاستون باشلار، مكتبة الإسكندرية، ط١، ١٩٩١: ١٥.

(٢) ينظر: البنية الدلالية والسردية في رواية أرض السواد لعبدالرحمن منيف، صخر علي المحيسن، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠٠٥: ١٨.

يمارسون القهر تجاه المجتمع الإنساني، فالكاتب في رواية الشخصية ((يبني شخوصه من عناصر مأخوذة من حياته الخاصة، وإنَّ أبطاله ما هم إلَّا أقنعة يروي من ورائها قصته ويحلم من خلالها بنفسه))[١].

وهذا يقودنا إلى التوقف عند علاقة ذات المؤلف ودواخله بذات الشخصية ودواخلها، وبكل ما يتعلق بها في عالم رواية الشخصية، وأثر اللاشعور في ذلك؛ ((فابتداء نعتقد أَنَّ مفتاح نجاح الشخصية في أَنْ تكون شخصية معبرة وحية، وهي تتبع من دواخل المؤلف))[٢]، وهذه ميزة فنية يستطيع الكاتب عن طريقها أَنْ ((يسقط بعض أفكاره، وأحاسيسه، وأحداث حياته على شخصيات رواياته، ولا ضير في ذلك؛ لأَنَّهُ سيقدم للقارئ تجربة أكثر مصداقية ونضجًا))[٣].

ونجد أَنَّ نصوصًا عِدَّة من رواية الشخصية استطاعت أَنْ تخترق الحجب، وتصور نوازع الشخصية وأحلامها، وما تصبو إليه لتغيير الواقع، أو الفرار منهُ بتأملات شاردة.

تكشف لنا رواية الشخصية عن الشخصية الحالمة بتحقيق المجد والشهرة في رواية (صخب ونساء وكاتب مغمور) (لعلي بدر) ،تدور أحداثها في بغداد حول شخصية الكاتب المغمور، يروي الأحداث بضمير المتكلم، كانَ جنديًا في حرب الصحراء من جهة بلاده في العراق، بعد نهاية الحرب وجد نفسه من دون عمل ومن غير مستقبل تمامًا((كنت جنديًا متسرحًا، كاتبًا مغمورًا أعزب، مفلسًا دون نجاح يذكر،

---

(١) بحوث في الرواية الجديدة، ميشيل بوتور، ت: فريد انطونيوس، دار عوينات، الأردن، ط٢، ١٩٨٢: ٦٤.

(٢) جماليات الشخصية في الرواية العراقيّة، د. نجم عبدالله كاظم، ٢٠١٠/١٢/٤، www.iraq writers. com

(٣) الراوية العربيّة (البناء والرؤية) مقاربات نقدية، د. سمير روحي الفيصل، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، ٢٠٠٣: ٢٢.

ولكني كنت متفائلًا، بريئًا متحمسًا، ومستعدًا للتأثير بالآخرين مثل صرخة، سأكتب رواية، هل أنا ضعيف؟))[١].

ورث عن جدهِ استديو صغير في بغداد، أكسبه هذا الانتقال إحساسًا بأَنَّهُ سيصبح كاتبًا كبيرًا، طالما يعيش وحده مثل الكُتّاب الكبار؛ فيحلم أَنْ يكون منهم ((أحضرت أوراقي الفولسكاب غير المخططة وطابعة أوبتيما صغيرة تشبه الطابعات التي يستخدمها الجنود الألمان في أفلام الحرب العالمية الثانية ومجموعة من الكتب العربية والأجنبية ووضعت الغليون في فمي وكنت مثل غيري أتشبه بكتاب عظماء كنت أظن بأني ما أن اضع أقدامي على هذه البلاطات المخلخلة حتى تنفتح عوالم الكتابة برمَّتها أمامي وسأنشر روايةً عظيمة سيهملها الجمهور أول الامر ومن ثمّ سينتبه لها وسأصبح كاتبا عظيما ومشهورا في النهاية بل كنت أظن أن المالَ سينهمر علي من كل مكان حفلات توقيع، ودور نشر ضخمة وفنادق كبيرة صحافات ومقالات ولقاءات تلفزيونية وتصريحات، كان علي أن أحذف بغداد القاهرة أو لندن أو باريس وما كنت أضع نفسي مكان نايبول أو هومي بابا ولكن كنت انظر الى نموذج قريب وبحسدٍ ظاهر: نجيب محفوظ)) [٢] فتحاول الشخصية اللجوء الى عوالمها الخيالية لتتوسع عندها دائرة الحلم بالسفر خارج البلاد، فنجد أن الرواية تنفتح بموقف شخصية الكاتب الحالم الذي يحاول الفرار بحلمه في أَنْ يكون كاتباً مشهورًا من بلده العراق، الذي ضيق عليه، وصار عائقًا يقف في طريقه ويحول من دون تحقيق حلمه، ولاسِيَّمَا أَنَّ السلطات قد وضعت تعقيدات يصعب على الأفراد الإفلات من قيودها ((أريد أَنْ أُهاجر بأي سبيل، أريد أَنْ أغادر إلى الأبد))[٣].

نجد موقف الشخصية يتخذ طابع التزمت والثبات على الموقف؛ فعبارة الهجرة والحلم بالسفر ترددت مرارًا في الرواية؛ فتشكل عالمًا خاصًا وطابعًا حلميًا تعرف به

---

(١) صخب ونساء وكاتب مغمور،علي بدر، دار نون، الأردن،ط١،٢٠١٥: ٣٠.

(٢) نفسها:٣٠.

(٣) نفسها:٣٠.

الشخصية من بداية الرواية حتّى نهايتها، فهي تتغير لكنها لا تتطور، وهذا التركيب يمنحها طابعًا نمطيًا، تميل به إلى التذمر والضجر من واقعها الذي لا تكتسب عن طريقه الحرية للتعبير عن الآراء والأفكار المفروض تبينها في كتاباته: فيسأله وليد((كيف ستسافر؟ شرحت لَهُ أكثر من وسيلة كانت شائعة ذلك الوقت، وقد سافر بها العديد ممن أعرفهم:

إما اهرب إلى إيران، وأقطعها مشيًا على الأقدام حتّى أصل الباكستان وأفغانستان، ومن ثمَّ إلى جنوب أو شرق آسيا، وهنالك العديد من المهربين الذين سيتدبرون سفرنا إلى أوربا، حتّى لو ذهبت بقفة قار كما كانَ يفعل السومريون... أو لوحة خشبية صغيرة على الماء... كما كانَ يفعل جدي وجدك السندباد))[١].

تظل الشخصية متمسكة بآرائها في محاولة الفكاك من القيود التي فرضتها عليه بلاده؛ للتخلص من التهميش والانسحاق المجتمعي، إذ تعرض لنا الشخصية شخصيات أخرى تتعلق بها بشكل أو بآخر فتكون كنقاطٍ تمدُ أذرعها نحو الشخصية لترفدها بالأفكار والحيل التي تنعش فكرة السفر والفرار بعد أن التقى(الكاتب المغمور) بصديقه (عباس) الذي تعرف على فتاة مغربية جاءت الى العراق ((كان الاحمق السمين ذو الكرش المدور يتحدث بصورة بلهاء أمامي عن فتاة رياضية مغربية سمراء جميلة جاءت الى بغداد مع وفد رياضي مغربي كبير للعب الطاولة ومرت هذه الفتاة بالصدفة على محل عباس لتصليح ساعتها العاطلة وقد تعارفا بسرعة فلم يكن بحاجة الى أشياء ووسائل كثيرة للتعارف على فتاة مغربية جاءت الى بغداد فوجدت فرصتها العظيمة في الزواج منه وهكذا وبسرعة البرق سقطت المغربية في حبه واتفقا على الزواج وكانت الفتاة تدعى عيشة)) [٢]. يولد هذا الانتقال في حياة (عباس) دافعا قوياً للشخصية بالسفر واللحاق به ((كنت أتحدث معه ...أنظر نحوه وأحيانا تختفي صورته وتحل

(١) صخب ونساء وكاتب مغمور:١٤.

(٢) نفسها: ١٠٢.

صورتي محله ماذا لو كانت هذه الرسالة لي لا لهذا الاحمق السمين هذا الذي سيتخلص من هذا الجو الضاغط هنا في بغداد ويذهب الى النعيم)) [١] فيعضد سفر (عباس) حلم (الكاتب المغمور) ويرسم أمامه الطريق للنهوض بخطط وحيل ترسم تفاصيله وتحقق مبتغياته فيتخذ طرقاً وأساليب ملتوية وساخرة وفكاهية لبلوغ غايته الأثيرة التي ستلصقه بالقاع الكرنفالي الصاخب الذي يضمُّ مجموعة من أصدقائه يتوزعون مابين المحتال والبليد الخامل والمحظوظ والمضطهد كل تلك الشخصيات سترفد الشخصية من أجل تحقيق حلمها فيضع كاتب رواية الشخصية تلك الاساليب في إطار كوميدي ساخر لتضخيم الواقع الفجائعي الذي يدفعه الى الاحتيال والمراوغة وتعرية الانظمة السياسية المسؤولة عن شيوع مثل هذه الظواهر الغريبة في المجتمع يقول الكاتب المغمور:((كان الوقت مساء، أخذني وليد الى شقته وعرض علي تفاصيل صفقة تجارية تساعدني على السفر، دخلنا غرفته كان هنالك صندوق قديم فتحه وأخرج منه تمثالا من الحجر الاسود يشبه تمثال الملك البابلي نرام سين وقال لي إن تاجراً عراقياً يتعامل مع مهربي آثار أمريكيين طلبه منه وإنه سيحصل على مالٍ كثير ثم أخرج لي مخطوطة لابن عربي قال لي انها أصلية...وسألني فيما اذا كنت أعرف شخصاً يشتريها ثم أخرج سجادة قديمة قال إنها تعود الى الملك محمد علي القاجاري شاه ايران حين زار كربلاء في القرن التاسع عشر فقد أُنزلت للأرض كي يدوس عليها الشاه قبل دخوله الحضرة المقدسة وأشار الى طبعة حذاء واضحة عليها وقال هذه طبعة قدمه! ثم سألني لماذا لا أشتريها بخمسمائة دولار وبالتالي يمكنني بيعها بألف دولار)) [٢] فيسلك (الكاتب المغمور) بعد ذلك طرقا واساليب متعددة لبيع السجادة على انها قطعة أثرية لتدر عليه تلك الصفقة بالمال، حتى لو كان على حساب اصدقائه ،إذ قرر بعد ذلك أن يبيعها لـ(عباس) بعد أن يبيع الاخير محله ويشتريها منه وقد انطلت عليهما الحيلة لكنهما اضاعا السجادة

---

(١) صخب ونساء وكاتب مغمور:١٠٣.

(٢) نفسها:١٣٣-١٣٤.

بسبب ولَهْ وحب (الكاتب المغمور) للنساء كحبه (لتمارى) أخت (عباس) ((جلست تمارى أمامي ووضعت ساقاً على ساقٍ وأخرجت سيجارة من حقيبتها وأشعلتها قبل أن، تتكلم، نشقت من جسدها الرائحة المخدرة ونفح جسدها الانثوي اليقظ))[١]، وكذلك علاقته ب(عايدة) التي كانت سببا في خسارته للسجادة فقد قامت الاخيرة بسرقتها والهروب بها مع قريبها وخدعت (الكاتب الغمور) وهي لم تسرق السجادة فقط بل كان ذلك سبباً في سرقة حلمه في السفر الى طنجة إذ كانت آخر اماله لتحقيق مبتغاه ؛ لكنه لم يخلع صفة التودد والتقرب للنساء على الرغم من كل ما جرى له إذ يواصل (الكاتب المغمور) التشبث بحلمه؛ فيتقمص دور العاشق الولهان، الذي يعاني من فراق معشوقته، ويتحرق شوقًا للقائها؛ فيقوم بإرسال الرسائل الغرامية المثقلة بالأشعار والروائح الزكية؛ في محاولة لكسب ودّها وتعاطفها معه؛ لتحقق لَهُ حلمه، ((قلت لها يا ملاكي الصغير أرسلي المال؛ كي التحق بك، فأنا أحترق من حرارة الحب، قلت لها سأفقد عقلي إنْ لم التحق بها، وكنت أتمنى أَنْ تدرك هذا الألم الذي يعصر قلبي، وهذا الشوق الذي يدفع بي إلى الخلاص والرغبة بالهروب، كتبت أشياء كثيرة وضمنتها الكثير من أبيات الشعر والجمل العاطفية الرقيقة والحنونة... وناديتها بالطفلة القديسة التي سوف تنقذني من هذا المكان الخرب والمدمر)) [٢].

يكشف لنا الراوي المشارك تفاصيل علاقته مع الفتاة المغربية ؛ اذ يصف مشاعره تجاهها؛ و يتوسل إليها، ليسَ لأَنَّهُ يحبها بالفعل، بل لأَنَّها السبيل الوحيد لتحقيق حلمه، غير أَنَّ أمله سرعان ما يتحول إلى خيبة كبرى ليتكسر زجاج أحلامه برصاصة الواقع، ويكتشف أَنْ هذه المرأة كانت مجرد وهم لا وجود لها في الحياة الواقعية، وقد أصبح موضع سخرية لأحلامه وكلّ ما حوله، وكذلك (عيشه) الشخصية الخيالية التي كانت تتلاعب بمشاعره.

---

(١) صخب ونساء وكاتب مغمور: ١٥٩.

(٢) نفسها: ١٩٦.

تتمحور الرواية حول شخصية الكاتب المغمور النمطية؛ بوصفها رواية شخصية؛ إذ تكشف لنا عن شخصية اليوتوبي الذي يحمل وعيًا مأساويًا عن واقعه؛ فيعمد إلى إقامة بديل متخيل عن واقع الحروب القبيح عن طريق حلم

بالسفر إلى طنجة، والاستقرار بعيدًا عن العنف والتشتت في بلاده ؛ حيث الابتعاد عن بطش السلطة من محاربتها للإبداع ويسافر؛ حيث الشهرة، والمجد، والنساء، والمال؛ فنجد عوالم الحلم تتناسل موضوعيًا مع بنية العنوان التي تشكل ملمحًا بارزًا لشخصية الكاتب المغمور؛ فجملة (صخب ونساء) تحيلنا إلى واقع الكاتب وما يدور حوله،فذلك الصخب الذي ينسج من مجتمع يعاني من الحروب العبثية والحصارات القاتلة وسياسة التضييق الضاغطة التي مارستها السلطة السياسية ضد شعبها جعلت الشخصية تعيش في حالة من التيه والتخبط والمراوحة في ظل واقع مأساوي جعلها تسلك طرقاً وأساليب حالمة تثير السخرية فتنزل الى صخب ذلك القاع حالمة بالشهرة والمال، والعلاقة مع النساء، أَمّا الجملة المعطوفة (وكاتب مغمور) تحيلنا إلى الشخصية الرئيسة التي ارتكزت عليها الرواية التي نلحظ اكتمالها ونمطيتها استنادًا إلى كونها شخصية مقنعة، ومغلقة، ومسطحة في بنيتها دلالة الحلم والتغيير على ضوئه؛ لكنها لم تتعرض لأي تطور، وهذا من أساسيات رواية الشخصية.وقد ركّز كاتب رواية الشخصية على مأساة جيل بأكمله وعرضها من خلال الشخصية الرئيسة التي تُسرد الاحداث من وجهة نظرها سرداً ذاتياً مما جعلها أكثر التصاقاً بالمجتمع والواقع تكشف لنا حقائقه وتبرز تناقضاته. ونديم من الشخصيات التي وقعت تحت أسار الحلم أيضًا في رواية (إِنَّهُ يحلم أو يلعب أو يموت) ل(أحمد السعداوي)، فالعنوان مكتنز بجملة من الدلالات، كُلّها تحيل إلى التمركز حول الذات، في نوع من التشتت والاغتراب الذاتي ما بين الأحلام المجهضة واللعب بالمصائر الذي يقوده إلى الموت، ويبدو أَنَّ طابع الحلم يشكل نوعًا من المعارضة للواقع؛ فتحاول الشخصية الانسلاخ منهُ؛ فـ(نديم) شخصية حالمة تعيش منفصلة عن الواقع، وحيدًا لم يتبقَ له سوى أمه (بنية) بعد رحيل أخيه (حميد) إلى

الجبهة، ومن ثمَّ سفره إلى الخارج، يعمل (نديم) في مكتب استنساخ كتب وقرطاسية في بغداد بمنطقة باب المعظم، تتمركز الرواية حول شخصية (نديم)، الذي يعيش منفصلًا عن الواقع بحلمه الأسطوري، وهو السفر خارج البلاد بعد أَنْ يبعث لَهُ (حميد) تذكرة السفر فيدفعه ذلك إلى التعايش مع حلمين، حلم الفكاك من سيطرة (بنية) وحلم السفر، ((تخيلت مرارًا كُلّ التفاصيل، أزرار القميص للمضيفة التي تقدّم لي الشاي أو المشروب الغازي داخل الطائرة، تخيَّلت حتّى ملمس السلم الحديد تحت حذائي الرياضي وأنا أهبط منهُ مع مسافرين من شَتّى الأجناس هناك في شمال أمريكا؛ لأجد وجوهًا عديدة تحدق بي أو أتوهم أَنَّها تحدق بي وليس بمسافرين آخرين))[١].

يصف الراوي/ المشارك تفاصيل حلمه بالسفر؛ فنجد (نديم) شخصية عالقة بأحلام اليقظة؛ إذ تعدّها النافذة الوحيدة للهروب من الواقع؛ فيشكل طابع حلمه نوعًا من العجز والضياع، الذي يعيشه في واقعهِ، عجزًا يمنعه من تحقيق ما يريد، وضياعًا ما بين الواقع والمتخيل؛ فيكون الموضوع محاولة لمعرفة طبيعة تلك الشخصية، التي تبدو لنا مهمشة ومسحوقة؛ بدليل أَنَّها تلجأ لأحلام اليقظة؛ للهروب من الواقع، وحقيقة فإنَّ هذه الأحلام لها مسوغات تتمثل بالوعد الذي قطعه (حميد) لأخيه (نديم) بأنْ يرسل لَهُ تذكرة سفر بعد وفاة أمهم والالتحاق بأخيه؛ فتفتتح الرواية بحكم الشخصية؛ إذ يبرز ذلك الشخصية الحالمة وطبيعتها؛ بوصفها رواية شخصية تُعنى بما هو خاص وفردي، لكنها تمثل مجتمعًا بأكمله، ثمَّ يكمل تفاصيل حلمهِ ((أفشل مرارًا في تخمين وجه حميد الذي سيكون أَقل سمرة وأكثر سمنة من وجه العراقيّ الذي غادر به بغداد قبل عشر سنوات تقريبًا))[٢].

يقدّم لنا (نديم) شخصية أخيه (حميد) فيصف لنا تفاصيله متخيلًا إياها؛ ليعقد المقارنة بين شكله في السابق وشكله بعد سفره؛ فتوحي هذه الأوصاف على نوعٍ من

---

(١) إنَّهُ يحلم أو يلعب أو يموت، أحمد سعداوي، دار الجمل، بيروت، ط١، ٢٠١٥: ٧.

(٢) نفسها: ١٠.

الراحة والحرية؛ وذلك دلالة على تحررهِ من أسار الظلم والاستبداد، ورحيله إلى عالم أكثر انفتاحًا وأُلفة؛ فتخلق الشخصية أجواءً أثيرية؛ لتؤثث عوالم أحلامها التي تصطبغ بالواقع؛ لتحاول الصعود من القاع إلى القمة؛ حيث الإنسان المنفتح الجدير بالتكريم والتقديس، بعيدًا عن حياته التي تطفح باليأس، والأسى، والقمع، والتهميش؛ فيواصل (نديم) أحلامه التي رافقته حتّى في مناماتهِ: ((أنام وأحلم ثمَّ ينبثق حميد بقوة داخل أحلامي، وأرى الدماء تتدفق في اتفاقنا السابق فما عليَّ سوى الاستمرار في الانتظار، أَنْ تموت بنيّة مثلًا، أو يظهر حميد بملابسه الأوربية أمام الباب فجأة، أحلم ثمَّ أغرق في هذياناتي، وأنا أقف في مفترق طرق جديدة، تتساوى الخيارات عنده بصورة يصعب احتمالها)) [١]؛ فأحلام الشخصية متجذرة في (اللاوعي)؛ لترتد على شكل هذيانات تنتاب الشخصية؛ لكثرة التفكير والانشغال بقضية الهجرة؛ لكن هذه الأحلام تمنى بالخيبة؛ فينقطع نفسها، وتخفت بعد الاحتلال، الذي كانَ من الأسباب التي حالت دون تحقيقها؛ ((لكنَّ حميد لم يتصل ولم تمت بنيّة، والريس غادر كرسيه أخيرًا، وجاء هؤلاء الأغراب بمدرعاتهم وأسلحتهم، تغيَّر كُلّ شيء مئة وثمانين درجة))[٢].

كشفت لنا شخصية (نديم) عن طريق حلمه، الذي شغل بنية الخطاب بجميع تمفصلاته واقعًا همشته السلطة عبر تاريخها الاستبدادي الطويل، الذي عمق نمط الاستبداد والقتل لروح الفرد والمجتمع؛ فتجعل الفرد غير منتمٍ لواقعه يحاول الفكاك منهُ بشتى الوسائل؛ فيحاول (نديم) أَنْ يلوذ بالحلم؛ هربًا من واقعه بكُلّ تناقضاته والسفر إلى المنفى الذي لا يعرف عنه شيئًا، ليظل (نديم) يتعايش مع الواقع، ويعيش مع أحلامه التي اتخذت طابعًا أسطوريًا؛ لأَنَّها استطاعت أَنْ تؤسطر شخصية (حميد) بجعله المنقذ والمخلص؛ ليخلق بذلك أجواءً استثنائية تنسلخ من الواقع؛ لتتناسل مع إيديولوجيا الحلم وتركيبه؛ الذي قُيد بمشترطات سياسية المتمثلة بالسلطة وأخرى اجتماعية متمثلة بـ(بنية)؛

---

(١) إنَّهُ يحلم أو يلعب أو يموت: ١٠.

(٢) نفسها: ١٠.

لكنه ظل يحلم ليحاول أَنْ يزرع الأمل وسط حياته المسحوقة والميئوس منها، ليظهر الحلم كحالة من الهروب من صعوبات الواقع وتعقيدات السلطات فكان في ذلك متنفساً لكونه يمتلك قوة الحلم، التي لا يتخلى عنها الإنسان أَشد حالاته.

وتبرز أمامنا (تيجان) في رواية (الصندوق الاسود) الشخصية الحالمة بتحقيق كيان أسري يضمن لها سعادتها وتوافقها مع الحياة؛) لكليزار أنور بعد أكثر من عشر سنوات زواج أَنْ تحمل صناعيًا (طفل أنابيب)؛ فتسافر وتقطع المسافات؛ من أَجل تحقيق ذاتها وزوجها بعد أَنْ قطعوا حبال الآمال بأَنْ تحمل طبيعيًا؛ فتسافر إلى سوريا بصحبة زوجها، وتبدأ مشوارها هناك؛ من أَجل عمليّة الزرع؛ لتحقيق أمل الحمل الذي انتظرته كثيرًا.

أوّل ما يطالعنا هو حلم الشخصية بتحقيق الكمال لجسدها الساكت عن إنتاج أهم دلالاته الأُنثوية، وهي الإنجاب؛ فالمترسخ اجتماعيًا يرى في جسد المرأة مكانًا مفعمًا بالجمال والطراوة؛ فإنَّ انعدام فرصة الإنجاب يجعل منها جسدًا معطلًا عن أداء إحدى وظائفه المتمثلة بالإنجاب؛ ففي حالة وجود العطل لا يمكن للمجتمع الذكوري التقليدي أَنْ يرد الاعتبار إلى الجسد المنكسر للقبول بفكرة تعطله بايلوجيًا في ظل ثقافة سائدة تنظر إلى جسد المرأة بأَنَّهُ منتج؛ لكنَّ (تيجان) لم تستسلم لهذه القناعات، بل راحت تبحث عن وسائل لتحقيق حلمها بوأد تلك المترسخات الاجتماعية[١]، ((في أثناء حديثي مع زوجي نادوا اسمي جاءت الممرضة وساعدتني على الجلوس في العربية أنزلتني بالمصعد الى الطابق الأرضي تحت المشفى عالم آخر علم يتقرر فيه المصير هنا تسحب البويضات وتخصب تحيا ويحيا معها الامل وتخضر البطون بعد جدبها أو ربما تموت لتتحول النفس الى صحراء، فاليوم هو يوم السحب سحبوا قبل قليل الحيامن من زوجي والآن سيسحبون البويضات الناضجة مني أدخلتني المعينة غرفة العمليات

(١) ينظر: إيديولوجيا الجسد المعطل، قراءة في رواية الصندوق الأسود، د. فاضل عبود التميمي، جامعة ديالى، مجلة إمضاء، العدد الأَوّل، المجلد الرابع، نيسان ٢٠١٢: ٢.

وساعدتني بالاستلقاء على طاولة العمليات نظرت الى الساعة المعلقة على الجدار مرسوم عليها شعار المشفى أُمٌ تحتضن طفلها فكرت هل حقاً سأكون أُماً وبدأت أفكر في كيفية انفراجها عن مكنوناتي لأكون أُماً بين الأُمهات هل يحق لي هذا الحلم الطبيعي جداً))[١] نلحظ أن الشخصية قد استطاعت أَنْ تبرز تفاصيل حلمها المتمثل بتحقيق الأمومة؛ بوصفها الشخصية الرئيسة والراوي المشارك، الذي تكفل بالبوح بمحنة الجسد السابح في فضاء الإشكالية الإنسانية؛ فمهمة البوح كفيلة بتحرير المكبوت، والإفصاح عن قيمة الحلم؛ فهي ((تعلّم الإنسان فن السرد وتجعله يبوح بأسراره وتفاصيل حياته الدقيقة كما أفعل أنا، ليس لشيء سوى تحرير النفس من هم المحنة))[٢]، وهي لا تتحدث عن حلمها فقط، بل تحاول أَنْ تفصح عن حلم الكثيرات ممن حولها؛ ((لتتخطى البوح الفردي؛ لتدخل في تمثلات جمعية مهمة)) [٣]، تقول: ((ست عشرة امرأة متفاوتات الأعمار سوريات وعراقيّات مخطوفات النظرة والخوف من أَنْ تفشل العملية، جئن بقلب ملؤه الرجاء في أَنْ تتكور بطونهن حالمات بشيء يكبر بين أحشائهن، ويبقى الأَمل قارة نتمنى أَنْ تطأها أقدامنا))[٤].

تكشف الشخصية عن بنية الحلم المماثل عند نساء أُخر جئن للبحث عن الكمال، يبحثن عن ولادة حياة جديدة حرمن منها؛ فكن يشعرن بالظلم المركب الذي تملّك أرواحهن قبل الأجساد، وبات هاجسهن يؤرق وجدانهن المعذب، لتكون الشخصية هي لسان حال بقية الشخصيات الاخرى ، ثمَّ يتقاطع الحلم مع الواقع؛ فتعيش الشخصية حلم الأمومة، ((في الواقع في الحلم وجدتني أمًا؟ طفل جميل يحبو نحوي؛ لأكون ملاذه الآمن...، وبدأت أسترسل في حلمي، كيف سأكون أمًا؟ أحشاء تمتلئ بالنبض

---

(١) الصندوق الاسود، كليزار أنور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١،٢٠١٠: ٦.

(٢) إيديولوجيا الجسد المعطل: ٤.

(٣) ينظر: إيديولوجيا الجسد المعطل: ٢.

(٤) الصندوق الاسود: ١٢.

والحيوية... أحشاء تجول بها روح صغيرة، وستكبر إلى أَنْ تتحول جسدًا ينبلج عنه الضوء إلى الوجود أظن سيكون لَهُ إرثٌ جديدٌ في حياة مليئة بالوعد))[١]، يفضي النص إلى دلالة الترقب، وعرض تفاصيل الحلم؛ لتحقيق الواقع المنتظر؛ فالجسد المعطل لم يقعد ساكنًا، بل راح يبحث عن سبل للخلاص، والحلم باللحاق وظيفيًا بعالم الأجساد المنتجة، وتعلن انتصارها أمام القوة التي أخرجت جسدها من مركزية نسوية منتجة؛ لتدخلها في لامركزية التهميش وقد حاولت الشخصية عن طريق حلمها تعرية هذه الذهنية المجتمعية،والكشف عن تصدعاته، عن طريق شخصية (تيجان) ؛ بوصفها محورًا وساردًا ذاتيًا في الرواية؛ فأبرزت المرأة جنساً متجذر لَهُ قيمه، ومبادئه، وإيديولوجياته، تحاول الفكاك من تبعية الآخر باستظهارها لبنية الحلم وقناعتها بنجاعة الأساليب المتبعة؛ لتحقيق أفضل نتائجه، ظلت الشخصية متمسكة بقناعتها وأحلامها، على الرغم من أَنَّها لم تحقق حلمها((وجاء يوم الحسم اليوم نتيجة الامتحان الصعب والمحنة التي مررت بها في كل لحظة وثانية من الشهرين الماضيين صباحاً جاءت الممرضة لتسحب مني عينة من الدم أخذها زوجي مباشرة للمشفى والنتيجة بعد الظهر فاتصل من هنالك كنت خائفة وكحد سكين كان صوته بارداً وفوجئ بالنبأ وتقاطر الألم حتى طغى على العينين)) [٢]، إِلَّا أَنَّ ذلك قد جعل منها شخصية نمطية واضحة الملامح والأفكار، التي أراد كاتب رواية الشخصية إيصالها عن طريق التركيز على شخصية محورية تُعدُّ بؤرة السرد والنقطة، التي تلتقي عندها العناصر الأخرى.

في ظل ما تقدّم نجد أَنَّ في رواية الشخصية تتمظهر بحالة من الحلم الإنساني، الذي يظهر كحالة للهروب الإنساني من الواقع، والقارئ لمجتمع رواية الشخصية يحس بأنين الشخصية عن طريق سعيها وراء الحلم للتمسك به؛ لتحقيق ذاتها من خلاله وبث الأمل والإقبال على الحياة الجديدة.

---

(١) الصندوق الاسود: ٧.

(٢) نفسها: ٨٨.

نجد من خلال ما تقدم ان رواية الشخصية الحالمة استندت على أسلوب السرد الذاتي في الكشف عن بنية أحلام الشخصية وتفاصيلها، التي قدّمت شرحًا وتعليقًا لكُلّ ما يختلج في النفس من أوهام واضطرابات؛ انطلاقًا من عقيدة مؤلفها؛ لتعايش الرؤيتين معًا؛ لتنتج عالمًا مغايرًا للواقع المعاش.

وقد استندت رواية الشخصية الحالمة على عنصر الشخصية في تقديم رؤيتها عن الحياة والمجتمع، وحقائق الوجود؛ فاتخذت بقية العناصر الأخرى؛ لتسليط الضوء على تحركات الشخصية واضطراباتها بأحزانها وأفراحها، وإبراز تقاسيمها؛ لتعرية الواقع، والكشف عن مجاهيله؛ لذلك عدّت الروايات الأربع روايات شخصية بتفرد؛ لأَنَّها استطاعت أَنْ تبرز مظاهر متعددة في المجتمع عن طريق واقع أحد أفراده، وتطلعاته، وأحلامه؛ فشخصية (الكاتب المغمور، وخضر قد، ونديم، وتيجان) ما هي إِلَّا شخصيات روائية مكتنزة بدلالات كشفت عن مجتمع من وجهة نظرها، وأزاحت الستار عن صور مخفية من القمع الفكري، والسياسي، والاجتماعي؛ لكنها واضحة لكاتب رواية الشخصية، الذي استعان بعالم اليوتوبيا المشبع بالرموز والدلالات، الذي تسرب إلى خيال الإنسان المثقف، والمهمش، والمسحوق؛ لبناء عالمه الوهمي.

Abstract

Studying the concept of character novels is an attempt to crystalize this form of writing which emerged in the first half of the eighteenth century as an evolution from the art of letters and memorandums. It was based on a philosophical background that calls for enlightening and attention to individual and his feelings and thinking. This led to the attention to the idea of character as the foundation of this type of novels. The first one theorize in this type of novels was the Scottish novelist Robert Louis Stevenson in his critiques. His theorization was not noted by most scholars until the rejection of the American Hennery James. Edwin Muir provided an accurate theoretical framework to character novels in his work "The Structure of the Novel". The scholars relied on this book but they did not elaborate after it because this type of novels did not catch the attention of western and Arab scholars.

The present study was divided into an introduction which discussed the concept of character novels followed by three chapters. The first chapter discussed the patterns of character novels. The second chapter illustrated the atmosphere of this type of novels. The third chapter discussed the forms of event building. The study ended with a conclusion of the major findings of the study.